

الأدب المغربي بعد ٥ حزيران

بقلم محمد النازي

حيا الاله فتانها وحى موافقها الجياد
كوني فتاة العرب رائدة لنا يوم الجلال
ضمي الصفوف ووحدي لا تختشي اهل العناد
لا تتركها فرقة ترمي بنا في كسل واد
ولم ينشغل الفكر المغربي بقضايا وطنه الخاصة ، بل انه يعتقد ان
مصيره مرتبط بمصير الامة العربية ، لذلك بقى وفيا لانفعاله مع
الانسان العربي في شقائه ومعننه وتطلعه لعد افضل ، وبحكم تجربتنا
الطويلة مع الاستعمار ، وادراكنا المبكر لهدفه وغايته ، كنا ننظر باشفاق
الى مصير المعركة بين الصهيونية والاستعمار من جهة ، وبين الشعب
العربي الطموح النبيل ... لذلك صدقوني اذا أكدت لكم ان النخبة
الواعية المفكرة في المغرب لم تفاجأ بما وقع يوم خامس يونيو الاسود ،
ولكن فوجئت بنتائج ما وقع ، وبفداحة ما حدث ، ان الحرب قدرنا مع
الاستعمار والصهيونية ، ولو لم يخلق الاستعمار اسرائيل لخلق مسوغات
يستنزف بها قدرتنا وطاقتنا ، ويعرقل بها مسيرتنا للخلاص من أسر
القرون الوسطى ، ومن استرقاق الرجعية للقيم الانسانية لدى المواطن
العربي .

وحين وقعت الكارثة ، انتحرت فتاة ، لانها خسرت رهانا مع صديق
بانتمصار العرب ، وزاغ عقل شيخ ، لان القدس سقطت ... واغرورقت
عيننا قائد بالدموع ، لان جيشه لم يستطع الوصول الى ارض المعركة .
ولم يسقط الفكر المغربي ضحية لهذه المظاهر الطبيعية التي لا يملك
المرء لها ردا ، وانما حافظ على صفائه ، وواصل استيعابه لبواعث
الهزيمة ، ووسائل الاستفادة منها ، مستقصيا ظروفها . لم يصمت
شاعر ، ولم يخب ذهن كاتب ، ولم ينطفيء ادراك مفكر .

بقي الشاعر المغربي محافظا على اصالته الفنية ، وعلى صدق
عاطفته يستوي في ذلك الشعراء المخلصون للعمود الشعري ، وشعراء
المدرسة الحديثة ، واذا كان هناك من اختلاف بينهما فهو اختلاف
استوجيه التكوين الثقافي ، واستلزمته النظرة الخاصة لكل فريق
الى اسباب الهزيمة .

فمن الفريق الاول نجد شعراء ، أمثال غلال الفاسي ، المهدي
ابن ادريس العمراوي ، ادريس الجائي ، عبد الكريم التواتي ، محمد
الحلوي .

ومن الفريق الثاني شعراء أمثال الطبال ، والجوهري ، ومالكة
العاصمي ، وابن دفعة ، وابو عسل وابن ميمون .

بل ان النخبة خلقت مجموعة من الشعراء ، سمعنا أصواتهم
للمرة الاولى ، وفي ميدان القصة كان أبرز الاعمال القصصية مجموعة
الادبية خاتمة بنونة « النار والاختيار » ، التي تصيف رصيда من
الشعور القومي الصادق الى أدب النخبة .

ومن الكتاب : رفيقة الطبيعة ، وعبد الكريم غلاب ، وعبد الجبار
السحيمي ، وعبد القادر السميحي ، والعربي المساري ، ومحمد العربي
الخطابي ، ومحمد الصباغ ، ومصطفى اليزناسي ، والهادي ، وعمر
نجيب ، وعبد المجيد بن جلون .

وأصدرت دار العلم كتابا حل فيه مؤلفوه : غلاب ، والسحيمي ،
والمساري أسباب الهزيمة وظروفها ، ونشطت حركة الترجمة لتعريف
المواطنين بما يقوله خصوم العرب واصدقاؤهم ، ودعي مؤلف كتاب « ضد
اسرائيل » لزيارة المغرب ، وترجمت جريدة العلم كتابه ، بعد أن نشرته

ترسب في أذهان كثير من المفكرين أن المغرب بحكم بعده الجغرافي
عن منطقة الصراع بين العرب والصهيونية ومن يقف وراءها مساندا لاهدافها
بعيد كذلك بعاطفته وشعوره ، وهذا الترسب هو الذي يصدر عنه اولئك
الذين يرصدون الحركات الادبية وتفاعلاتها من المهتمين والمختصين
والمتفرغين في الجزء المشرقي من العالم العربي .

من هذا المنطلق الواقعي نستطيع أن نفهم سر الانقسام الملاحظ
في موقف الادب العربي من النخبة بين ادباء المشرق وادباء المغرب .
ولملمي مسؤول ان اوضح لكم موقف الادب المغربي من القضية الفلسطينية
قبل هزيمة حزيران ، وبعدها . ان هذا الكشف ضروري - حتى ولو
عجز الوقت المحدد عن استيعابه - ليفهم بعضنا بعضا في البداية .
ولتكون موضوعيين عند تقييمنا لحركة الفكر العربي في مواجهة التحديات
التي تحيط به .

الادب المغربي بعامة أدب كفاح ، وأدب معركة ، وأدب حرية ، وأدب
التزام ، وأدب عروبة .

أدب كفاح لانه منذ المواجهة التاريخية بيننا وبين أوروبا التوثية ،
ومنذ بدء النهضة العربية كان قدر علينا أن نجد ما نملك من سلاح
لنكافح ضد الغناء في دول أجنبية عن لغة وفكرا وتاريخا وحضارة ،
وما كنا نملك من مواجهة التقدم العلمي والتقنية العسكرية للمستعمرين ،
غير سلاح الكلمة ، فانطبع ادبنا بصرامة الكافحين فكان أدبا جادا لا هزل
فيه ، وجافا لا ليونة في مفرداته وبنائه .

وكان ادبنا أدب حرية ، لايماننا أنه بدون حرية ، فلا فكر ،
وبدون حرية فلا أدب ، وبدون حرية فلا التزام . ولان ادبنا الحديث
ولد مع كفاح الشعب ، كان واجبا أن يبقى وفيا لهدف كفاح الشعب ،
وهو الحرية .

لهذه الخصائص القومية والانسانية التي تطبع الادب المغربي ،
ارتبط الادباء المغاربة بكل قضايا الحرية والقومية ، وفي الفترات التي
كان الفكر العربي - شعرا - يمر بالمرحلة الرومانسية في مدرسة ابوللو ،
وبالصراع النقدي عن الوحدة العضوية للقصيدة بين مدرسة العقاد
والمازني ، وعبد الرحمن شكري ، وبين انصار شوقي وحافظ ، كان
الفكر المغربي في الفترة ذاتها ، أي في أواخر العشرينيات وأوائل
الثلاثينيات ، يصارع محاولة الاستعمار في القضاء على عروبة المغرب
لمحو قوميته ، وعزله نهائيا عن الوطن العربي لغة وتفكيراً .

كان جيل آباءنا اذ ذاك يقاوم الانقسام القومي بين العرب والبربر ،
وكان الفكر العربي - نشرا - يهدر طاقته في صراع رجال السياسة
على الحكم .

في ذلك الحين أيضا كان شعب فلسطين يقاوم السياسة البريطانية
الهادفة الى غرس خنجر اسرائيل في قلب العالم العربي ، فلم يعجز
الفكر المغربي أن يربط بين الحاديين ، ويمزج بينهما ويستصرخ الامة
العربية أن تستيقظ من رقادها ، ويسجل السيد غلال الفاسي هذا
الترايط والتمازج في قصيدة نظمها اثر المظاهرات النسائية في فلسطين
عام ١٩٢٢ يقول فيها :

ان البلاد يعيث فيها المستبطلون الشداد
يتمنون بخيرها ونظلم نحرم من سداد
يابون ان نسعى لعلم أو لفكر في اتحاد
والآن قد خطت فلسطين لنا سبيل السداد

بالفرنسية جريدة الرأي . وأوفدت الصحف مراسلين تجولوا في أنحاء العالم العربي ، ودرسوا على الطبيعة ظروف النكبة ، وعادوا لينشروا التحقيقات والدراسات والاحاديث باللغتين العربية والفرنسية .
وتأسست جمعية مغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني ، وتتكون من أدباء ، ومحامين ، وأطباء ، وأسائفة ، وطلبة وعمال . ولعل المغرب البلد العربي الوحيد الذي صدرت فيه بعد النكبة جريدة اسمها « فلسطين » لا تنشر الا ما له صلة بقضية فلسطين .

فما ميزة هذا الأدب ، وما أصالته ، وما روافده ؟
هل هو أدب أساة ، أو أدب معركة ؟

هل هو أدب ياس وضياع ، أم أدب اصرار على احراز النصر ؟
هل هو أدب استسلام ، أو أدب مقاومة وفداء ؟

هل هو أدب اعلام ودعاية ، أم أدب كشف للحقائق وتوعية للجماهير ؟
هل هو أدب نكبة ، أو أدب نكسة ، أو أدب هزيمة ؟ ..

ان الادب المغربي بجميع أشكاله التعبيرية لم ينزلق الى هساوية الغموض والابهام ، ليعتد عن مواجهة المشكلة الحقيقية ، كما نلاحظ ذلك عند بعض الادباء في المشرق العربي ، الذين ألفوا ان لا يعالجوا القضايا القومية والانسانية الا حين تمسهم هذه القضايا مباشرة . وأغلب هذا المس لا يكون تلقائيا بل لا بد له من مؤثر سياسي .. فينقلب الادب الى اعلام ، والى دعاية .

ان الاديب المغربي الذي لم تفاجئه الهزيمة وما نجم عنها من أحداث ، وجد في الهزيمة دليلا على صدق حدسه واحساسه ، ففي الوقت الذي ظهر فيه أدب التشاؤم والياس والشك في كل القيم والمقومات الاخلاقية والانسانية ، حرص الادب المغربي على التأكيد على ضرورة التمسك بالاصالة الروحية للانسان العربي . ونحن على خلاف واضح مع بعض النقاد العرب ، فعندما لاحظوا سطحية الادب العربي بعد الهزيمة ، وتعبيره المباشر عن آثاها ، زعموا أن ذلك يرجع الى فقدان العمق والاصالة من الثقافة العربية المعاصرة . بينما زعمنا أن الثقافة العربية غنية بالعمق والاصالة ، وان مرد السطحية الملاحظة ، هو سقوط الادب بين برائن الاعلام . فلا الادب استمر على اصالته محافظا على مقوماته ، ولا الاعلام استفاد من قدرة الاديب على التعبير ، فنكرت معه قصة الغراب الذي اراد أن يتعلم مشية الحمامة ، فسي مشيته ولم يتعلم مشية الحمامة ، وكانت كارثة الاعلام العربي المهتدة للكارثة العسكرية ، وبذلك فقدت الكلمة اشراقها ، وصدقها ونفاذها ، وأخذ الوطن العربي يكذب كل ما يسمع ويقرأ ، بعد ان كان يصدق كل ما يسمع وكل ما يقرأ ، وأصبحت المشكلة في نظرنا ليست مشكلة تعبير وقول وتبليغ ، وانما المشكلة مشكلة تصديق ما يكتب وما ينشر . فقد فقدت الثقة بين الاديب والانسان العربي ، حين اكتشف هذا الانسان الطيب المكافح ، أنه كان ضحية للمدياع ، والتلفاز ، والصحيفة والكتاب ، قبل أن تزحف عليه قوى الشر بأسلحتها الفتاكة ليتفاته ، وتحرقه وتشرده .

في المغرب حرصنا كل الحرص على أن نحفظ بادراننا السليم لرسالة الاديب ودوره في المعركة ، فكان أدبنا أدب كشف لحقائق الواقع العربي اجتماعيا وسياسيا ونفسيا ، توعية للجماهير ، حتى تبقى محافظة على تماسكها النفسي ، فلم يكن أدب دعاية واعلام .

كذلك فان الادباء العرب انفصلوا الى فئات ثلاث بعدما حصل يوم ه حزيران . وهذا الانفصال لم يكن ناتجا عن اختلاف في التفكير أو في النظرة لما وقع يوم ه حزيران ، وانما حصل بتأثير وسائل الاعلام التي ما تزال لها الكلمة الفاصلة في محاولة التأثير على التكوين الانفعالي للانسان العربي .

وهذه الفئات هي :

فئة النكسة ، التي تعتقد أن ما حدث يوم ه حزيران هو مجرد نكسة أصابت الكفاح العربي ، وأنها لا يجب أن تؤثر بأي حال على السياسة والمنهج والاسلوب والتفكير ، وكل ما كان خطة للعمل قبل ه حزيران . هؤلاء هم الذين أريد لهم أن يرفعوا علم النكسة بعد

الحرب ، واتخذوا من الكلمة مسوغا للاستمرار في السياسة التي كان سوفها رائجا قبل ه حزيران .

وفئة النكبة ، أولئك الادباء الذين أطلقوا على ما حدث يوم ه حزيران اسم النكبة ليعبروا من خلال هذه التسمية على استمرار شكهم في السياسة والمنهج والاسلوب الذي كان سائدا قبل ه حزيران وزادتهم النكبة اقتناعا بتفكيرهم وتأكيدا لشكهم .

وتسمى الفئة الثالثة ما حدث بعد الخامس من حزيران بالهزيمة العسكرية ، لتحدد مسؤولية ما وقع ، ولتضع خطا فاصلا بين المسؤولية الشعبية التي انزوت وخفتت ، وبين المسؤولية العسكرية التي أوشكت أن تقضي عليها . وجاءت الهزيمة العسكرية لتؤكد هذه الحقيقة ، واذا كان المستقبل من صنع الحاضر ، فان الحاضر من صنع الماضي ، والذين لا يتذكرون الماضي محكوم عليهم أن يعيدوا أخطاءه ، حتى ولو لم يريدوا ذلك . ومجرد رفض الماضي لا يقيم حاضرا ، ولا يعد مستقبل ، رفض الماضي لا يكفي ، واردة التغيير لا تجدي ، وتقييم ما حدث يوم ه حزيران وما نتج عنه يجب أن يكون تقييما سليما ، وأخشى اذا نحن حاولنا هذا التقييم أن نجد نتائجه سلبية .

بعد الهزيمة العسكرية في حزيران ١٩٦٧ ، تكشف لنا بعض الحقائق التي لا نزع منها غير قابلة للمناقشة ، وانما هي أفكار ساكون سعيدا لو حظيت بانتباهكم .

أولا - ان دور الادب بعد الهزيمة لا يجب أن يكون دورا تسجيليا لما حدث ، أو دور التنبيه لما قد يحدث ، فتلك مهمة الصحفي ، وليست رسالة الاديب .

ثانيا - ان معظم النتاج الادبي في هذه الفترة كان تعبيرا عن العواطف التي حركتها الهزيمة في نفس الانسان العربي ، فلم تزد على أن اذكت نار حقه وسخطه ، وتقدمته وبأسه .

ثالثا - ان المثقفين العرب قصروا في واجبه نحو الجماهير التي

صدر حديثا عن :

دار بيروت للطباعة والنشر

التمن

الاسلام والخلافة

٦٠٠ للدكتور الخربوطلي

اليمن شماله وجنوبه

٦٠٠ للاستاذ محمود كامل المحامي

جواهر البخاري

٤٠٠ تأليف مصطفى محمد عمارة

الادب النبوي

٤٠٠ تأليف محمد عبد العزيز الخولي

المفرد العلم

٢٢٥ تأليف احمد الهاشمي

سبل السلام

١٠٠٠ للعسقلاني

بلوغ المرام من ادلة الاحكام

٣٠٠ للعسقلاني

تحولت من فعل مؤثر ، الى متفرج فسي حلبة يتصارع فيها الطموح الشخصي على حساب قضية الجماهير ، فاشكت هذه الجماهير ان تفقد حس المعركة ، ان لم يكن هذا الفقدان قد وقع بالفعل ، وكان من بين اسباب الهزيمة .

رابعا - ان المثقفين كانوا يجهلون كل شيء عن العدو المترص بهم . ولجهل المثقفين وليد هو جهل الجماهير بحقيقة المعركة التي يجب ان تبأ لها ، في الوقت الذي كان العدو يعرف كل شيء عن العرب فاعتدى علينا بالمعرفة وواجهنا بالجهل .

خامسا - اننا نعتقد ان تخلفنا الاقتصادي والاجتماعي والتقني ، نتيجة حتمية لتخلفنا الثقافي ، فالتقدم الاقتصادي والاجتماعي والتقني وليد الثقافة ، وليس يصح العكس .

سادسا - ان معركتنا مع العدو ليست معركة تقدم وتخلف ، وانما هي معركة ثقافية حضارية .

سابعا - ان العدو جعل التوسع في اراضيها ، والقضاء علينا المبتدأ والمنتهى في سياسته وتفكيره وتخطيطه ، بينما نجعل نحن بعضنا هدفا في تفكيرنا وتخطيطنا .

ثامنا - ان الجماهير العربية ترفض رفضا باتا أي حل سياسي على حساب قضية الارض والشعب ، وان الادب العربي اكره في كثير من اجزاء الوطن العربي على تجنب تحليل هذا الرفض وتعميقه لسدى الانسان العربي .

تاسعا - ان هذه الحقيقة تضع امامنا موضوعا خطيرا لعله اخطر قضية تواجه الادب العربي . وذلك هو موضوع الحرية . فالى أي مدى يتمتع الاديب بحرية التعبير في الوطن العربي ؟ وهل يكفي ان تصدر القرارات والتوصيات مطالبة بهذه الحرية ؟ .

عاشرا - ما هذه الحرية التي نطالب بها للاديب ؟ على المؤتمرين ان يقولوا كلمتهم في صراحة ووضوح ، حتى نتجلى حقيقة هذه الحرية التي نزع منها ملهمتنا ورائدتنا .

ان اتحاد كتاب المغرب قد درس موضوع حرية الاديب في مؤتمره الذي انعقد في الرباط في شهر تموز ١٩٦٨ « واعتبارا منه بان رجل

الفكر هو العنصر المتنور في العالم العربي ، واعتبارا لكونه يتميز بطاقة فعالة هي طاقة التعبير ، واعتبارا لكونه ملزما بتحمل مسؤولية كاملة في التنوير ، والتوجيه والبناء ، وملزما بالمساهمة في التقسيم الثقافي تحقيقا لتطور اجتماعي ونمو اقتصادي ، حتى يتمكن الى جانب قطاعات الشعب الاخرى من ممارسة حقوقه المشروعة التي كافح من اجلها ، فاننا نرى ضرورة فسح مجال عرض وتقبل وذبوع الافكار وحريسة مناقشتها « . فلا مسوغ اطلاقا لفرض وصاية على الفكر البشري ، مهما كان نوع هذه الوصاية ، وكيفما كان شكلها ، لان فرض مثل هذه الوصاية « ستقلص من دور الكتاب والمثقفين ، وتدفعهم نحو العزلة والانكماش واللامبالاة ، وتدفع بالحياة الفكرية والثقافية الى فراغ يسهل انزلاقها نحو الزيف والتحلل والانحراف » ، فلا فكر بدون حرية ، ولا كرامة بدون حرية ، ولا حرية ولا كرامة بدون مسؤولية ، ولكن ما بداية الحرية وما نهايتها ؟ .

ذلك موضوع آخر اطرحه امامكم للمناقشة ، فقد تردد هذا السؤال من قبل كثيرا ، من غير ان يصل واضعوه الى تحديد جامع مانع له . علينا ان نبحث ونقارن بين مختلف المفاهيم الحديثة للحرية ، لنلزم انفسنا باصلحها للمجتمع العربي ، والمستقبل العربي ، والكرامة العربية . واقد مر الشعب العربي بكثير من التجارب ، وخبر عددا من النظم والاتجاهات . فهل استقر على سبيل ؟ ام انه ما يزال ضائعا ؟ . . . حادي عشر - ان كتاب المغرب تقديرا منهم لمسؤوليتهم نحو قضية العرب الاولى ، فلسطين ، الزموا انفسهم في المؤتمر الذي عقده بالرباط في شهر تموز ١٩٦٨ ، بالدعوة الى تجنيد اقلام الكتاب لفضح الاساليب الصهيونية المختلفة ، وقرروا اقامة مهرجانات خاصة لكفاح شعب فلسطين ، مساهمة منا في دعم الكفاح العادل والمشروع الذي يخوضه الشعب الفلسطيني ، ودعا المؤتمر الكتاب في جميع انحاء العالم العربي والاسلامي لتوحيد الخطة لمقاومة الخطر الصهيوني .

ولسوف يسعد الابداء المقاربة ان يتبنى المؤتمر هذه المقترحات .

محمد التازي

١. ثورات في الاسلام

تأليف

الدكتور علي مسني الغزبوطي

تتميز الامة العربية دائما بالحيوية والايجابية ، وقد شهدت في عصرها الاسلامي كثيرا من الثورات اختلفت في اهدافها ومظاهرها ولكنها اتفقت كلها في التعبير عن تلك الحيوية وهذه الايجابية . ويدررس هذا الكتاب تاريخ عشر ثورات شهدها العصر الاسلامي دراسة علمية منهجية وبيروزها من زوايا جديدة تختلف عن الزوايا التي تعرض لها المؤرخون والباحثون ، وهي :

ثورة الاسلام والثورة المضادة - ثورة على خليفة - ثورة الشراة - ثورة ابي الشهداء - ثورة العائذ بالكعبة - ثورة التوابين - ثورة ضد التفرقة العنصرية - ثورة ناصر المؤمنين - الثورة المعتدلة - ثورة الزنج . كتاب هام يحتاج المواطن العربي في هذه الفترة التي يخوض فيها الشعب العربي ثورة عظيمة ضد

الاحتلال والصهيونية والعنصرية والاستعمار .

صدر حديثا

٣٠٠ ق . ل